

## الانتماء الأخلاقي في الفلسفة الحديثة والمعاصرة

هشام صالح سليمان\*

[drhesham\\_sallah@yahoo.com](mailto:drhesham_sallah@yahoo.com)

### ملخص

يعد مفهوم الانتماء الأخلاقي من أهم المفاهيم التي تحدد طبيعة علاقة الفرد بالمجتمع في الأوقات جميعها، والأماكن. وهي تعني رغبة أي شخص في الاتحاد مع آخر، أو جماعة، أو معتقد، فهي حاجة إنسانية. وقد يختلف الانتماء من مجتمعٍ إلى آخر، ومن فردٍ إلى غيره وذلك وفق العادات والتقاليد التي نشأ عليها.

الكلمات المفتاحية: الانتماء الأخلاقي - الولاء - الاغتراب - فلسفة الانتماء.

\* أستاذ الفلسفة الحديثة المساعد بقسم العلوم الاجتماعية- كلية التربية- جامعة الإسكندرية

## مقدمة:

سنحاول من خلال الدراسة توضيح معنى الانتماء الأخلاقي من منظورٍ فلسفيٍّ، حيث إنه مرتبطٌ بأنواع الانتماءات الأخرى جميعها، فلكل منها المعنى نفسه في مجالها الخاص، ولكن المحتوى هو ذاته، ومن ثمَّ، فإن الانتماء الفلسفي يعني ارتباط الفرد بفلسفته، فهناك من ينتمون إلى الفلسفة الإسلامية، أو اليونانية، أو بعض أفكار فلاسفة القرون الوسطى، وهي مجرد فكرةٍ فلسفيةٍ ينتمي إليها الفرد، أو المجتمع.

إن الانتماء للوطن يتوافق حرفياً مع المكان والزمان اللذين ولد فيهما الإنسان، وترعرع فيها، ومن ثم، فهو إلزاميٌّ، ولا يملك الإنسان سلطة اختياره. وهنا يأتي دور الولاء: المتغير، والنسبي، وهنا نوضح أن الولاء للوطن يختلف من شخصٍ لآخر، فهناك من يتعصبون في الدفاع عن وطنهم، وهناك من هم أقل تعصباً، ويدافعون -في الوقت نفسه- عنه، ومن ثم، فالانتماء هو الوطن، والولاء هو الدفاع عنه بصفةٍ عامةٍ.

وهذا بدوره يجعلنا نوضح دور ارتباط فلسفة الانتماء بفلسفة الولاء. إذ تدور أولاهما حول ارتباط الفرد بوطنه، أو بفتةٍ معينةٍ. بمعنى أنه عندما يريد الفرد الانتماء إلى مجموعةٍ قويةٍ، فإنه يفترض شخصيته. وهذا ما يجعل فلسفة الانتماء بمنزلة العمود الفقري للأمة. الذي دونه يفقد الوطن تماسكه، وتتهار دعائمه وثوابته. وهذا الأمر مرتبطٌ بفلسفة الولاء التي تدرس الأسس والمعايير الأخلاقية التي تتغلغل في أعماق السلوك البشري للوصول إلى أهم المبادئ الأخلاقية التي تقوم على خاصية الولاء، مما يجعلنا نستنتج أن فلسفة الانتماء وفلسفة الولاء وجهان لعملةٍ واحدةٍ، حيث يكمل كل منهما الآخر.

ومن ثمّ، تهدف الدراسة ، من منطلق المنهج التحليلي، للوقوف على أخلاقيات الانتماء الشاملة عبر توضيح أهم الأبعاد الأخلاقية له، بوصفها محاولةً للإجابة على العديد من التساؤلات التي يقف على رأسها سؤالٌ مُفاده: ما الانتماء الأخلاقي؟

هناك أيضاً أسئلة فرعية سأحاول الإجابة عليها في سياق هذه الدراسة، ولعل من بينها -على سبيل المثال لا الحصر-:

- ١- ما علاقة الانتماء الأخلاقي بالانتماء الفلسفي؟
- ٢- ما الانتماء الاجتماعي، وما أبعاده علاقته بالانتماء الديني؟
- ٣- هل هناك علاقة بين الانتماء والولاء؟
- ٤- هل كانت هناك رؤية للانتماء الفلسفي في الفكر السياسي الحديث والمعاصر؟

أما بالنسبة لمحتويات الدراسة، فهي مقسمةً إلى ثمانية محاور رئيسية تليها خاتمةٌ، وقائمةٌ بأهم المصادر والمراجع وهي كالآتي:

- أولاً: الانتماء الفلسفي.
- ثانياً: قسم الولاء.
- ثالثاً: تعاريف الانتماء.
- رابعاً: أهمية الانتماء.
- خامساً: العلاقة بين الرضا والانتماء.
- سادساً: علاقة الانتماء بالاغتراب.
- سابعاً: الانتماء الفلسفي في الفكر السياسي الحديث والمعاصر.
- ثامناً: العلاقة الوثيقة بين فلسفة الانتماء وفلسفة الولاء.

## أولاً: الانتماء الفلسفي:

### جذور الولاء والانتماء:

حتى وقتٍ قريبٍ، لم يجذب الولاء الكثير من الاهتمام في الأدب الفلسفي الغربي مثلما كان في الماضي عندما بلغ الاهتمام بموضوع الولاء أوجه وذروته على يد جملةٍ من الكتاب المبدعين، نحو: أفلاطون، وإسخيلوس في الفكر اليوناني، حيث تميزت اليونان بجمهورية أفلاطون الذي كان من أوائل الذين مهدوا الطريق لهذه الفكرة، وعمل على ربطها بالمواطنة، حيث قسم بدوره المجتمع في جمهوريته إلى أربع فئاتٍ: الكهنة (براهما)، والحراس، والجنود، والحرفيون. تتحقق مواطنة الفرد من خلال انتماؤه إلى إحدى الطبقات، كما نجدها -كذلك- في الفكر الصيني القديم، خاصةً مع كونفوشيوس، حيث أولى الفكر الكونفوشيوسي اهتمامًا كبيرًا بالولاء، نظرًا لتركيزه على العلاقات الأسرية، تمامًا مثل المواطن الصالح لكونفوشيوس، والفيلسوف الصيني مطيع لنجاح الحكومة، رافضًا إطاعة العبيد لسيدته، مطالبًا الولاء للمبدأ، لكن في العصور الوسطى المسيحية في عهد أوغسطين دعت لفكرة الولاء من خلال فكرة الأزواجية من خلال ولاء الجسد للدولة، وولاء الروح لله. (1)

ولعل في الآونة الأخيرة، قد تمثل الاستثناء الفلسفي الغربي الكبير في شخصية (جويس رويس)، الذي تأثر بالفلسفة الشرقية، حيث أسس نظريةً أخلاقيةً تركز بدورها على "الولاء من أجل الولاء"، وقد أثار رويس اهتمامًا ثابتًا، ومتخصصًا منذ الثمانينيات، حيث بدأت بعض المناقشات الفلسفية المستقلة في الظهور، ليس في سياق النظرية السياسية فحسب، ولكن -كذلك- في مجالات الأخلاق المهنية، وأخلاقيات مكان العمل، والصدقة، ونظرية الفضيلة. (2)

## ثانياً: أقسام الولاء:

أولاً: الولاء الأسري: ويقصد به مشاعر الفرد المتمثلة في شعور الحب الإيجابي تجاه أسرته. وهذا الولاء يعطي الفرد القيم والعادات الصحيحة، ويميز بدوره بين الصواب والخطأ مما يجعله عضواً منسجماً مع مجموعته، ويؤثر في تكوينه الشخصي، والاجتماعي مستقبلاً.

ثانياً: الولاء البيئي: ويعني الحفاظ على البيئة بكل عناصرها، وتجنب كل ما يؤثر عليها.

ثالثاً: الولاء الوطني: ويُقصد به الولاء الوطني، وهو الولاء التام لمجموعة من الولاءات الفرعية التي تنقسم بدورها إلى ثلاثة أنواع، وفي كلٍّ منها مجموعة من المظاهر:

١. الولاء للنظام السياسي: يعد النظام جزءاً من أجزاء البلاد وركيزة من أركانها، فالولاء في الحقيقة هو الولاء للوطن، والنظام يحفظ الوطن، ويصون كرامته واستقراره، وكرامة أبنائه، ويحقق المصلحة العامة، ويحفظ حقوق المواطن وواجباته. ويقدم الاهتمام الخاص، ويعين على معرفة الرموز الوطنية، نحو: العلم، والنشيد الوطني، ويصون بدوره التراث الوطني

٢. الولاء للمكان: المكان هنا يعني رقعة الأرض، وهي ركنٌ من أركان قيام الوطن. ومن أهم مظاهر الولاء للمكان أنه يحمل مشاعر حب الفرد للوطن، وقدرته على التضحية من أجله بالدفاع عنه ضد العدو، والسعي في كل ما يعمل على النهوض به، ورفعته بالإبداع والابتكار، والمشاركة في مختلف المجالات التي تخدمه.

٣. الولاء لأبناء الوطن: يقصد بهم المواطنون الذين يعيشون مع المواطن في الوطن نفسه، ومن أهم مظاهر الولاء للشعب: المحبة، والتكامل، والتعاون بين المواطنين،

والحفاظ على العادات والتقاليد التي يرضيها أبناء الدولة، والتفاعل مع مشاكل المجتمع الذي يعيشون على أرضه.<sup>(3)</sup>

### ثالثاً: تعريفات الانتماء

الانتماء الاجتماعي: يعد من أهم المفاهيم المركزية التي تحدد طبيعة علاقة الفرد بالمجموعة في الأوقات جميعها والأماكن. مع التقارب الحميم والاعتزاز، وهو ما يعني الاعتزاز النفسي للفرد عن نفسه وجماعته، وما إذا كان الفرد يبتعد عن جماعته، أو يتركها لمجموعةٍ أخرى، وفي كلتا الحالتين يفقد ارتباطه بجماعته من جهة، ويواجه رفض المجموعة الأخرى من ناحية أخرى بسبب اختلاف عاداته مما يتسبب في اغترابه، وعدم انتمائه -في الوقت نفسه- مع المجتمع.<sup>(4)</sup>

الانتماء الديني: هو انتماء قلبي صادق، وليس مجرد انتماء اسمي، بأن يطلق علي شخص ما مسلم، وإنما هو وجود العاطفة والشعور بما عليه غيره من المسلمين، ومحبتهم، والحرص علي مصالحهم، فالانتماء الديني يجسد هذه العلاقة التي ينبغي أن تكون بين المسلمين في كل مكان، يقول الرسول: (لا يؤمن أحدكم يحب لأخيه ما يحب لنفسه)، وقال صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمى). وهي من أهم أنواع الانتماءات التي ترتبط بانتماء الإنسان إلى الدين من خلال معرفةٍ شاملةٍ وكافيةٍ بقواعدها، وأحكامها، ومبادئها، والحرص على تطبيقها بشكل صحيحٍ وسليمٍ.

الانتماء الديني يكاد يكون منعدماً؛ لأنه لكي يندمج المسلم مع المجتمع الجديد، والدولة التي يقيم فيها، يجب أن يظهر الولاء والقبول بكل مظاهره، حتى لو كانت

تتعارض -في الوقت نفسه- مع الانتماء الديني الذي عاش عليه الإنسان، ومن ثم، نجد أن الدين له الأسبقية على أي انتماءٍ آخر<sup>(5)</sup>.

#### رابعاً: أهمية الانتماء:

الانتماء مثل كل الاحتياجات التي سعى العلماء إلى قياسها، ومحاولة التنبؤ بها من أجل التحكم في سلوك الأفراد، أو على الأقل، توقع ذلك بسبب تأثيره على معنويات العمال، والمجموعة جميعها.

**أهمية الانتماء بالنسبة للفرد:** تظهر أهمية الانتماء من خلال الأهداف التي يسعى الأفراد إلى تحقيقها الفرد بالانتماء إلى جماعة، ومن أبرز هذه الأهداف: أولاً: تحقيق مكانة اجتماعية مرموقة. ثانياً: التوكيد الذاتي للفرد. ثالثاً: اكتساب الثقة بالنفس. رابعاً: الحصول على القبول من مجموعة الانتماء. خامساً: الحصول على التقدير.

#### أهمية الانتماء بالنسبة للجماعة:

يحقق الانتماء الفردي للمجموعة العديد من المكاسب، ولعل من بينها: أولاً: التضامن، والتماسك الاجتماعي.

ثانياً: المشاركة الفاعلة للأفراد في بناء الجماعة، وتنميتها. ثالثاً: المحافظة على أمن المجتمع، واستقراره.

رابعاً: المحافظة على قيم الجماعة، ومعاييرها<sup>(6)</sup>.

#### خامساً: العلاقة بين الرضا والانتماء

يختلف الرضا عن العمل من حيث إنه عاملٌ متغيرٌ ديناميكيٌّ، يتغير مع تجربة الفرد في العمل، ومع تغير خصائصه الشخصية، أما الانتماء التنظيمي، فهو

يُعبّر عن التجاوب الإيجابي تجاه المنظمة بشكل عامّ، والارتباط ككل. إنه مقياس أقل استقراراً، يعكس رد الفعل السريع على جوانب معينة من بيئة العمل.

فالرضا الوظيفي: وهو متغيّر مستقلّ فيما يتعلق بالانتماء التنظيمي، حيث رأى الباحثون أن الرضا الوظيفي يشير إلى نتيجة مباشرة لبيئة العمل، حيث يتشكل من خلال الانضمام إلى المنظمة مباشرة.

أما الانتماء التنظيمي، فكان العلماء ينظرون إليه مرة بعد مرة، وهذا بسبب توسع مفهومه، أعتقدوا أنه يتطور ببطء، ولا يحدث إلا بعد أن يتعرف الأفراد على ثقافة المنظمة، وقيمتها.

يمكن استخدام العلاقة المتبادلة بين الانتماء التنظيمي والرضا الوظيفي والتي من خلالها يمكن تصنيف جميع المتغيرات الخارجية مع بعضها بعضاً مقابل متغيّر داخليّ واحد، نحو: (الرضا الوظيفي) عند إجراء التقدير النسبي على المتغيّر الداخلي الآخر (الانتماء التنظيمي)، في أحد المتغيّرين فحسب دون الآخر، ومن ثم، قد تكون العلاقة المتبادلة بين المتغيّرين غامضة بسبب التأثيرات النسبية للمتغيرات الخارجية على كل متغيّر داخليّ التي لم تؤخذ في الحُساب.

اختلفت آراء الباحثين في هذا الصدد، فبعضهم يعتقد أن الانتماء التنظيمي يحدث بعد فترة معينة نتيجةً لشعور الفرد بالرضا عن العمل، ويعتقد آخرون أن شعور الفرد بالانتماء التنظيمي ينشأ قبل تكوين مواقف الرضا مع العمل، وقبل الالتحاق به، ويستمر مع استمرار عمل الفرد، فكلما ساعدت المنظمة الأفراد على إشباع احتياجاتهم، فإن الانتماء التنظيمي يعد سبباً وظيفياً.<sup>(7)</sup>



### سادساً: علاقة الانتماء بالاغتراب

لقد احتل الاغتراب مساحةً كبيرةً في أدبيات التنظيم، بل في كثيرٍ من مجالات الفكر الإنساني، وتضاعفت تعريفاته، ومنها أن معنى عدم الانتماء هو الجانب المظلم الذي يؤدي إلى أشكالٍ خطيرةٍ، وتفاعلاتٍ ضارةٍ ومدمرةٍ، قد تنتهي بالمجتمع في مستنقعٍ خطيرٍ، وتدفع به إلى الدخول في نفقٍ مظلمٍ، قد يصعب الخروج منه. (8)

إن مفهوم الاغتراب هو حالةٌ نفسيةٌ يشعر بها العامل نتيجةً لظروف الإنتاج التي يعمل فيها، حيث إنه ليس جزءًا من عملية الإنتاج فحسب، ومن ثم، فإنه ينشأ لديه شعورٌ بأنه لا يعمل لنفسه فحسب، وإنما من أجل غيره. ويشير مفهوم الاغتراب -كذلك- إلى نقص القوة، والعداء، والإحباط، والعزلة، وعدم وجود رؤية، أو معنى واضحٍ في واقع الحياة والانفصال عن الذات.

ومن ناحيةٍ أخرى، يمكن الإشارة إلى أن الاغتراب يظهر تناقضًا بين الفرد وجماعته على مستوى الأهداف والقيم، وعلى عكس الانتماء الذي يوجد فيه اتفاق بين الفرد والجماعة. كما يظهر الاغتراب خلاف في إشباع حاجتين أساسيتين، هما من صميم مكونات الانتماء، وهما:

الحاجة إلى النظام والمعنى: يشعر الإنسان بالقلق من الغموض والإبهام، والأحداث التي يصعب عليه فهمها، ولا يستطيع السيطرة عليها، ومن ثم، يسعى إلى صياغة تصورات تشرح معنى العالم، وعلاقته به.

الحاجة للقبول والانتماء الاجتماعي: حيث يتعلم الفرد أنه عندما يتصرف في سلوك يقدره من حوله، ويحظى حينها بالمكافأة، بينما السلوك المرفوض اجتماعياً يتسبب في معاقبته، ومن ثم، يحرص الشخص على الحصول على

التقدير الإيجابي من الأشخاص الذين يؤدون دوراً مهماً في حياته، ويحاول جاهداً الحفاظ على انتمائه.<sup>(١١)</sup>

### سابعاً : الانتماء الفلسفي في الفكر السياسي الحديث والمعاصر

لا تعترف رابطة الانتماء السياسي بالأشخاص الذين يعيشون خارج حدود الوطن، فقد أعلن مبدأ الانسجام الغربي عن نفسه علي أنه عالمي؛ لأنه -كذلك- يفترض أن حقوق الانسان عالمية وتؤكد أن الحريات السياسية والاقتصادية بالنسبة للغرب يجب أن تكون عالمية، ولقد ترك العلم حقيقة أن الفلسفات السياسية مبنية تاريخياً وفقاً لظروفها التاريخية الخاصة بثقافة معينة، وعلى الرغم من ذلك، فإن هناك بعض القيود التطورية لأي فلسفة سياسية يجب أن تصاحب التوجيه المناسب للتطور، وهو البقاء البيولوجي، ومن ثم، يجب أن تكون الفلسفة السياسية ناجحة بالضرورة موجهة إلى بقاء المجموعة، ولهذا، بالفعل، نفترض أن أي فلسفة سياسية حتي تستمر يجب أن تتمثل في ثلاث نقاط:

١. هي أنها تم بناؤها بيولوجياً للانتماء إلي مجموعاتٍ صغيرةٍ يكون فيها الاتصال العاطفي ممكناً..
٢. هو أن الفلسفة السياسية يجب أن تحدد النشاط الفعال لمجتمع ككل حتي يظل مندمجاً، ويحدد كيفية التعامل مع المجتمعات الأخرى.
٣. هو أنها تحدد طريقة التفاعل بشكلٍ صحيحٍ مع المادة والكون البيولوجي؛ لضمان البقاء علي قيد الحياة.

إن مفتاح البقاء الاجتماعي هو الانتماء فالانتماء الاجتماعي يؤسس المطلوب من المجموعة الاجتماعية، والدفاع عنها، والتفاعل معها فيما يتعلق بالفئات الاجتماعية الأخرى، فالانتماء الوجودي يحدد طرق للتفاعل مع البيئة البيولوجية

والمادية، ولعل الفلسفة السياسية يجب أن تضمن النشاط المناسب للمجتمع في ثلاث طرق للانتماء لأن الفلسفة السياسية ليست مقبولة عالمياً، ولا تفي بشكلٍ كاملٍ بالاحتياجات الاجتماعية، ولا توجد فلسفة سياسية بديلة يمكن أن تصل إلى المستوي العالمي من وجهة نظر الفكر الغربي، بل يجب أن تبدأ فلسفة الانتماء السياسية بادراك أن العقل البشري لا يستطيع الوصول إلي الحقائق العالمية، وهذا يترتب عليه الآثار الآتية:

١. أن هناك فلسفات سياسية متميزة حول العالم كل واحدة منها لها خصائصها التاريخية والثقافية الخاصة.

٢. أن العاملين في مجال الإنتاج الصناعي والاتصالات والمعلومات والعلم والتكنولوجيا وما إلي ذلك، وهكذا كل واحد من هؤلاء يجب أن يفهم الفلسفات السياسية، والحاجة إليها للتفاعل مع الآخرين في الثقافات والمجتمعات بطريقةٍ فعالةٍ.

٣. لا توجد حقائق عالمية تؤكد أن تمتلك الفلسفة السياسية ما يساعدها لتقديم نفسها علي أنها الحل العالمي.

فالانتماء هنا يعطي إحساس بالاتجاه، ومعني للحياة من خلال العملية التطورية التي يجب أن نمارسها، والانتماء اليوم له طابعٌ عالميٌ يصعب التعرف عليه بشكلٍ تامٍ. (9)

**ثامناً: العلاقة الوثيقة بين فلسفة الانتماء وفلسفة الولاء**

**أولاً فلسفة الانتماء:**

لقد كان الاتجاه العقلاني هو النظام السائد للمجتمعات التقليدية، حيث أحدث العصر الحديث تغييراتٍ في الترتيب المؤسسي للمجتمعات الغربية التي كان

لها دورٌ في تحويل العقلانية إلى انسجام واتفاق. تحددها إرادة الشعب. لكن على الرغم من هذا التغيير الحاسم، فإن لهذا الإجماع العديد من المزايا المنطقية. لا يزال بإمكان العقل التعرف على جوهر العالم الطبيعي، وله -كذلك- إمكانية الوصول إلى المبادئ الأخلاقية الأساسية التي تشكل أسس حقوق الإنسان. ومن ثم، فإن الانسجام هو عقلانية متغيرة من نواحٍ كثيرة. وقد بدأت الفلسفة بالعقلانية، واستمرت في التطور بانسجامٍ حتى في الفلسفة السياسية الحديثة التي تسلط الضوء على رؤيتها المعاصرة للعالم الاجتماعي، وخاصة الديمقراطية الوطنية المرتبطة بحقوق الإنسان. وعلى الرغم من ذلك، في العالم المعاصر، فقد كان هناك تغييران رئيسان في الترتيب المؤسسي الذي يجعل الانسجام غير صالح للبقاء بوصفه نظاماً مفاهيمياً مناسباً. إن التغيير الأول هو النجاح الذي لا يمكن إنكاره للعلم الذي أثرى بشكلٍ كبيرٍ معرفتنا بأنفسنا والعالم البيولوجي والفيزيائي المحيط بنا؛ خاصةً أنه أوضح تماماً أن العقل البشري لا يمكنه الوصول إلى الجواهر التي يمكن افتراضها بعقلانيةٍ ومتناسقةٍ. إن أبرز الفلاسفة، كما أوضح دريدا\*، لم يثبتوا -أبداً- مفاهيمهم

---

\* جاك دريدا: هو فيلسوف وناقد أدب فرنسي ولد في مدينة الإبيار بالجزائر، يعد دريدا أول من استخدم مفهوم التفكير بمعناه الجديد في الفلسفة، وأول من وظفه فلسفياً بهذا الشكل وهو ما جعله من أهم الفلاسفة في القرن العشرين. كما عالج دريدا مجموعة واسعة من القضايا والمشاكل المعرفية السائدة في التقاليد الفلسفية (المعرفة، الجوهر، الوجود، الزمن)، فضلاً على معالجته لبعض القضايا السياسية والأخلاقية.

جاك دريدا: قواسمي مراد. موسوعة الأبحاث الفلسفية. الفلسفة الغربية المعاصرة. تأليف مجموعة من الأكاديميين العرب. تقديم علي حرب. الجزء الثاني. الطبعة الأولى ٢٠١٣. دار ضفاف. ص ١٢٢٩

Derrida, J. (1968), The Differance (lecture, 1968), Théorie d'ensemble, Seuil, Paris, 1968, and the Philosophie Marges, Minuit, Paris, 1972. Margins of Philosophy, Chicago / London, Chicago University Press, 1982.

الأولية المسبقة، لكنهم افترضوا أنها صحيحة أولاً، ثم استنتجوا فكرهم الفلسفي. إن هذه التصورات، أو الأفكار الأولية هي افتراضات أساسية لا يمكن للعقل البشري أن يعرفها أبداً، ومن ثمَّ، يجب أن نتخلى عن مثل هذه الأفكار المسبقة الأساسية كما حدث في جميع المفاهيم المعاصرة، وأن نستبدلها بما تعلمناه من خلال العلم، وهذا ما تفعله فلسفة الانتماء. إن الانتماء ليس فكرةً مسبقةً، إنه يأتي من المعرفة العلمية، وقد تم إثبات ذلك في كل من الحيوانات والبشر من خلال علم النفس العلائقي، وعلم الأعصاب المعاصر. ولعل التغيير الثاني يتعلق بالتحويلات في الترتيب المؤسسي العالمي الفعلي بسبب ظاهرة العولمة في العالم المعاصر، الذي لم يجد بعد نظاماً معروفاً مناسباً، لا يزال الانسجام هو النظام السائد والمعترف به، لكنه أظهر أنه غير قادرٍ على مواكبة التغيرات العالمية في الترتيب المؤسسي. تم عولمة المعلومات، والاتصالات، والنقل، والتكنولوجيا، والعلوم، والإنتاج الاقتصادي، والتمويل، والأوبئة، والموسيقى، وأنماط الحياة، وحتى الجريمة، والحوكمة العالمية آخذة في التراجع. وعلى الرغم من ذلك، فإن الحوكمة العالمية تقوم على الديمقراطيات الوطنية القائمة على حقوق الإنسان الغربية السابقة. وقد يضمن الانسجام أنه في حالة احترام حقوق الإنسان، والحفاظ على الحريات السياسية والاقتصادية في مختلف دول العالم، سيكون هناك ازدهار وتقدم إنساني، لكن الحقيقة هي أن الواقع العالمي مختلفٌ تماماً، لأن النظام الاجتماعي الحقيقي في العديد من المجتمعات في العالم اليوم يتم تفسيره من خلال تصوراتهم الخاصة، حيث يعيش أكثر من أربعة أخماس سكان العالم في مجتمعات لا يتماشى فيها النظام الاجتماعي مع تصورات المجتمع الغربي، لأنه ليس من الواقعي افتراض أن الطريق إلى ازدهار العالمي في المستقبل هو الحفاظ على الموقف القائل بأن

الأشياء التي يفترضها الانسجام ستحظى بقبولٍ عالميٍّ. لقد حقق الانسجام ازدهارًا اقتصاديًا عالميًا غير مسبوق للعالم ، لكنه غير مناسبٍ لمواجهة التحديات الجديدة التي أحدثتها ظاهرة العولمة.

بمجرد أن نرى الانسجام من خلال العدسات العلمية، وتجاهل جوهره الفلسفي المفترض، يمكننا أن نقدر الانسجام على حقيقته: بوصفه نظامًا معروفًا يتوافق مع الترتيب المؤسسي لفترةٍ تاريخيةٍ معينةٍ من المجتمع الغربي. ولعل الانتماء الاجتماعي على المستوى العالمي في المجتمع المعاصر في عصرنا لا يتم بشكل صحيح. نحن بحاجة إلى فهم الحاجة إلى ترتيبٍ مؤسسيٍّ جديدٍ قادرٍ على مواجهة مشاكل، نحو: الأزمات المالية الدولية، والأوبئة العالمية، والجريمة العالمية، والتلوث العالمي، وعدم المساواة العالمية، والفقر العالمي. صحيح أن العولمة قدمت حلولًا بطريقةٍ ما لبعض المشاكل. شئنا أم أبينا، فنحن الآن ننتمي معًا في نواحٍ كثيرةٍ، لكن الأزمة المالية العالمية لعام ٢٠٠٨م، والوباء العالمي الأخير لعام ٢٠٢٠ أظهرتا ذلك بوضوحٍ شديدٍ، وبطريقةٍ مختلفةٍ. وتوفر فلسفة الانتماء إطارًا فلسفيًا علميًا يشرح سبب عدم فعالية الانسجام في العولمة المعاصرة. التي ستكون نتيجتها القومية الشعبوية، الناجمة جزئيًا عن الأزمة المالية لعام ٢٠٠٨ ، قصيرة الأجل ، بسبب عدم قدرتها على مواجهة جائحة ٢٠٢٠ العالمي. لقد حان الوقت لإنشاء ترتيبٍ مؤسسيٍّ عالميٍّ جديدٍ. لقد بدأ عصر الانسجام والوئام في الزوال، ومن ثم، فيجب أن نتبع عالميًا عصر الانتماء الجديد.<sup>(10)</sup>

تهدف فلسفة الانتماء<sup>١</sup> إلى الإجابة عن أسئلةٍ فلسفيةٍ تقليديةٍ، نحو: من نحن؟ من أين أتينا؟ إلى أين نحن ذاهبون؟ ما مصدر القيم الأخلاقية؟ ما الذي يفسر النظام

---

Derrida, J. (1994), Specters of Marx. The State of the Debt, the Work of Mourning, and the

الاجتماعي؟ كيف نعرف الواقع؟ ما هو الوجود؟ هل هناك مادة؟ ولكن عوضاً عن التحيزات الأولية التي قدمتها الفلسفات المختلفة ، فإنها تقوم على المعرفة العلمية. إنه لا يبدأ من الوجود المسبق، بل من نظرية المعرفة؛ لأنه من أجل معرفة ما هو موجود ، يجب علينا -أولاً- تحديد كيف نعرف أننا نعرف؟ لمعرفة الواقع ، هناك احتمالان فحسب، لمعرفة الحقيقة من خلال حواسنا باستخدام عقولنا، أو لمعرفتها بمساعدة الحواس والعقل، بمعنى أن حواسنا يمكن أن تستفيد من التكنولوجيا، نحو: المجهر، وعقلنا من خلال المنهج العلمي، لأن أي معلومات يتلقاها العقل ، سواء من الحواس، أم غير ذلك ، يتم تحليلها وتخزينها: نحو: الصور، ومن ثمّ، فإن العقل لا يعرف أبداً الحقيقة نفسها، ولكنه يعرف فقط صورة هذه الحقيقة التي يتكون منها بناءً على المعلومات التي يتلقاها. وتستخدم الطريقة العلمية المعلومات لبناء نموذج للواقع الذي -في معظم الأحيان- ما يكون رياضياً. وقد أظهر العلم قدرته على إعادة بناء الحلقة التاريخية مع الواقع بشكل أفضل. إن المعرفة العلمية تراكمية، في كل مرة تتفاعل مع الواقع بطريقة أكثر مناسبة، يمكن إثبات خطأ النماذج العلمية من الناحية التجريبية، لكن لا يمكن إثبات صحتها. ويمكن تفسير الواقع نفسه بنماذج علمية مختلفة. هذه النماذج هي -كذلك- مجرد صور متطورة للواقع ، والتي لا تتوافق أبداً مع الواقع نفسه. ومن ثمّ، لا يمكن للبشر معرفة الحقيقة نفسها. لذلك لا توجد طريقة لمعرفة الجواهر. ربما يشير هذا إلى أن النسبية الفلسفية صحيحة، وأن الحقائق الأساسية خاطئة. لكن الأمور -كذلك- ليست بهذه البساطة. إن (دريدا) محق في أن جميع الفلسفات تبدأ بأفكار مسبقة، ومن ثمّ، لا يمكنهم أبداً التحقق من صحة الجواهر التي يحاولون العثور عليها، ولكن هناك

New International, New York / London. Routledge.

حقيقتان معروفتان تحتاجان إلى تفسيرٍ، ولا تستطيع النسبية الفلسفية توفيرهما، أولاهما أن المعرفة العلمية تراكمية، وأخرهما هي أن النظام الاجتماعي موجودٌ. ولعل حقيقة أن المعرفة العلمية تراكمية تخبرنا بشيءٍ أساسيٍّ حول ما هو موجود هناك. لا يتألف هذا الواقع من تفاصيلٍ انتقاليةٍ فحسب، بل يشمل - كذلك - علاقاتها المتبادلة، وهذا يؤسس التوافق الذي يحدد وجوده. إن وجود الذرة، بالنسبة لأي فردٍ منا، والكون نفسه، يتحدد من خلال هذا التناظر. سواء في فيزياء الكم، أم فيزياء نيوتن، أم النسبية العامة لأينشتاين. دون هذا الاتساق، سيكون كل شيءٍ فوضويًا.

ولعل أي استقلال موجود هو مجرد وقتٍ تحدده لاحقًا هذه الاتفاقية المذكورة سابقًا؛ وفقًا لذلك، تتراكم المعرفة العلمية من خلال إنشاء نماذج للتفاعل مع الواقع، وينصب التركيز، في معظم الأحيان، على فهم هذا التوافق. وهكذا، في حين أن النسبية الفلسفية محقةٌ في التركيز على الشيء الفريد الموجود حقًا، فإن التفاصيل تغفل أهمية فحص هذا التطابق الذي يحدد وجودها.

لقد كان النظام الاجتماعي موجودًا حتى قبل أن نصبح بشرًا، ولا يمكن تفسيره بوجود التفاصيل التي اقترحتها النسبية الفلسفية. ولا تقدم الوجودية والتفكيك وما بعد الحداثة والواقعية اللاحقة حلًا اجتماعيًا نظرًا لعدم وجود طريقةٍ لمعرفة ماهية الأشياء، فلا يمكن تفسيرها علميًا من خلال ماهيتها. وعلى الرغم من ذلك، فإن فلسفة الانتماء تشرحها بمصطلحاتٍ علميةٍ، حيث إن النظام الاجتماعي هو نتيجةٌ لغريزة الانتماء التطورية المفسرة علميًا التي كانت موجودة قبل أن نصبح بشرًا. ولعل من الضروري الاعتناء بالطفل حتى ينضج دماغ الإنسان، فهذا مطلوبٌ للبقاء الاجتماعي والاقتصادي للمجموعة، كما أنها ضروريةٌ لبقاء الإنسان في



البيئة الفيزيائية والبيولوجية المناسبة. وتوضح الدراسة العلمية لخصائصنا التطورية سبب كوننا أفرادًا، ولماذا نولد، ولماذا نموت، ولماذا نحتاج إلى مجموعة للبقاء على قيد الحياة، ولماذا لدينا صلة محتملة بالكون الوجودي. إن النظام الاجتماعي هو ضرورة للبقاء، فهو مطلوبٌ للتفاعل بشكلٍ صحيحٍ مع العالم البيولوجي والمادي الذي يحيط بنا.

بمجرد أن نفهم أن الانتماء يفسر النظام الاجتماعي، يمكننا أن نرى أن النظام الاجتماعي يتطلب ترتيبًا مؤسسيًا يدعم الحياة الاجتماعية، نظرًا لأن البشر قد طوروا لغةً معقدةً، وقادرين -كذلك- على التفكير العقلي، فإن مثل هذا الترتيب المؤسسي له نظام مفاهيمي. وقد تبدأ التغييرات الاجتماعية من خلال التغييرات في الظروف المادية المحددة بواسطة الترتيب المؤسسي، كما اقترح ماركس\*، أو عن طريق التغييرات في النظام المفاهيمي كما جادل الشمال.

تعطينا فلسفة الانتماء طرقًا جديدة للنظر في فلسفة العلوم الاجتماعية والفلسفة السياسية، وفلسفة الاقتصاد، والفلسفة الأخلاقية. كما تسلط الضوء على القضايا الحاسمة لفلسفة علم النفس والدور الحاسم الذي يؤديه الفن في تطوير الانتماء الحقيقي. أما بالنسبة لفلسفة العلوم الاجتماعية، ففضلاً عن استخدام المنهج العلمي التقليدي للعلوم الطبيعية، تحتاج العلوم الاجتماعية إلى فهم الخصائص الثقافية، والتاريخية لمجتمعاتٍ معينةٍ، وللعالم الاجتماعي ككل. الترتيبات المؤسسية والنظم المفاهيمية المقابلة التي لها تاريخها الخاص، وتختلف بين المجتمعات بمرور

---

\* كارل هانريش ماركس: فيلسوف وناقد للاقتصاد السياسي ومؤرخ وعالم اجتماع ومنظر سياسي وصحفي وثوراني اشتراكي ألماني، كان لفكره السياسي والفلسفي تأثير هائل على التاريخ الفكري والاقتصادي العالمي واستُخدم اسمه للتعبير عن مدرسة فكرية كثيرة التطورات وهي المدرسة الماركسية.

الوقت. وعلى الرغم من ذلك، لا يمكن تعميم الفلسفة السياسية على جميع المجتمعات، ولا على جميع العصور التاريخية. ومع الرغم من ذلك، تقترح فلسفة الانتماء استخدام ثلاث فئات مجردة مبتكرة للأنظمة الاجتماعية: النظام التكميلي، ونظام السلطة، والنظام الاقتصادي المتبادل. نظام الانسجام البشري الوطني هو النظام المعروف للدول الغربية المتقدمة. لكنه ليس نظام الترتيب المؤسسي للعالم ككل، ولا نظام المجتمعات الأخرى. تطورت المجتمعات المختلفة على طول مسارات مفاهيمية مختلفة.

لقد بدأت فلسفة الاقتصاد مع آدم سميث\* - الاقتراح القائل بأن تلك الأنشطة الاقتصادية الفردية المفيدة اجتماعياً يجب أن تترك حرة للفرد ليقررها. إنه البيان الرسمي لفوائد الحرية الاقتصادية. لكن بالنسبة لسميث، فإن هذه الحرية مقيدة دائماً بحقيقة أنها لا ينبغي أن تضر المجتمع. وقد حاولت المدرسة الكلاسيكية الجديدة فهم الخصائص الأساسية للسوق الاقتصادي، وإظهار أنه يمكن إثبات أن الحرية الاقتصادية تعمل علمياً على تحسين الرفاهية الاجتماعية. لكنهم فشلوا، لأن توازنات السوق تعتمد بالضرورة سمات الترتيب المؤسسي. وهناك أنواع مختلفة من التوازنات الاقتصادية العامة، وكثير منها غير فعال. فالأسواق، على الرغم من قدرتها على الإسهام بفعالية، فإنها لا تقوم بمفردها بتعظيم الرفاه الاجتماعي. ويحاول الاقتصاد الماركسي أن يثبت علمياً أن جوهر النظام الرأسمالي غير عادل اجتماعياً، وأنه سيختفي بالضرورة. إن نظرية ماركس لقيمة العمل هي مجرد تكرار،

---

\* آدم سميث: هو فيلسوف أخلاقي وعالم اقتصاد أسكتلندي. ويُعدّ مؤسس علم الاقتصاد الكلاسيكي ومن رواد الاقتصاد السياسي، اشتهر بكتابه الكلاسيكيين (نظرية المشاعر الأخلاقية)، وكتاب (بحث في طبيعة ثروة الأمم وأسبابها) وهو من أهم أعماله، وأول عمل يتناول الاقتصاد الحديث وقد اشتهر اختصاراً باسم ثروة الأمم، الذي دعا إلى تعزيز المبادرة الفردية، والمنافسة، وحرية التجارة، بوصفها الوسيلة الفضلى لتحقيق أكبر قدر من الثروة والسعادة.

ولا يمكن إثبات انخفاض معدل الأرباح نظرياً، كما أن ثورة البروليتاريا المعلنة لم تحدث لا على المستوى العالمي ولا في أي اقتصاد متطور. ومن ثم، كانت الماركسية -كذلك- محاولة فاشلة. الاقتصاد الكلاسيكي الجديد هو نظرية جيدة جداً لأسعار السوق، والماركسية تشير بالفعل إلى بعض مظالم الرأسمالية. لكن كلا الاقتراحين الفيلسوفيين الطموحين لإيجاد حلول اقتصادية من خلال الوسائل العلمية قد فشل، فلا يمكن فهم الرأسمالية والأسواق دون الديمقراطية والمؤسسات. وهذه المؤسسات تتغير عبر التاريخ، ولكن ليس نحو أي نهايةٍ أساسيةٍ مدرّكةٍ، كما جادل ماركس. في الواقع، كما أوضحنا، يتم تفسير الرأسمالية من خلال ترتيبٍ مؤسسيٍّ غربيٍّ تاريخيٍّ معينٍ الذي أدى إلى توسيع السوق بشكلٍ كبيرٍ بسبب نمو الطبقة الوسطى الذي أحدثته الديمقراطية الوليدة. إن الأسواق والتاريخ البشري ليس لهما خصائص أساسية. ومن ثم، فإن دراسة المجتمع البشري، يجب أن تفهمه من أصوله التطورية، ومن ثم، يجب أن تركز على الخصائص التاريخية المحددة للانتماء إلى مجتمعاتٍ مختلفةٍ في فتراتٍ زمنيةٍ مختلفةٍ.

إن القيم الأخلاقية هي قيم الانتماء التي تتغير بين المجتمعات وعبر الزمن، ومن ثم، يجب حل المعضلات الأخلاقية بعباراتٍ نسبية، فيما يتعلق بالمجتمع المحدد، والوقت التاريخي المراد تحليله. يبدو للوهلة الأولى أن هذا يؤكد صحة النسبية الأخلاقية. لكننا نظهر مرة أخرى أن النسبية الأخلاقية لا يمكنها تفسير وجود النظام الاجتماعي، بينما يفعل الانتماء. إن هناك قيود على الانتماء إلى القيم الأخلاقية التي يجب على المجتمع احترامها لضمان بقائه التطوري، وعلى الرغم من أنه قد تكون هناك حالات شاذة لبعض المجتمعات في أوقاتٍ تاريخيةٍ محددةٍ، يجب أن تبحث المجتمعات عن بقائها في معظمها، وإلا فلن يكون للتطور أي

شيء. بمعنى أنه يمكن استخدام قيود الانتماء هذه لتطوير أخلاقيات الانتماء التي يمكن أن تساعدنا ، جنباً إلى جنبٍ مع فحص القيم المقبولة لمجتمعٍ معينٍ في حل معضلاتٍ أخلاقيةٍ محددةٍ. لقد رأينا العديد من الأمثلة التطبيقية لحالة المجتمع الغربي. أما بالنسبة لفلسفة علم النفس، فقد حاول فرويد\* أن يفهم علمياً الخصائص الأساسية للعقل البشري ، والتي وصفها بأنها الصراع بين الأنا والأنا العليا. وقد حاول بياجيه\* -كذلك- أن يصف علمياً المراحل الأساسية لتطور العقل البشري الواعي، وحاو (سكينر) -كذلك- أن يشرح النفس البشرية بمصطلحاتٍ علميةٍ بوصفها نتيجةً لمحفزات خارجية ، يمكن من خلالها التلاعب بها. وقد كان كل منهم له مساهمات ذات صلة، ولكن لا يوجد جوهر فريد للعقل البشري يمكن معرفته من خلال المنهج العلمي. لقد ألفت الأنثروبولوجيا، وعلم الأحياء، وعلم الوراثة، واللغويات التطورية، وعلم النفس المقارن، والعديد من التخصصات الأخرى الضوء على الأصول التطورية للعقل. وقد سمحت لنا النماذج المختلفة في علم النفس التجريبي بفهم السمات المتنوعة للعقل البشري. وقد زودتنا البيولوجيا العصبية

---

\* سيغمووند فرويد Freud,Sigmund (١٨٥٦-١٩٣٩ م): هو طبيب نمساوي من أصل يهودي، اهتم بدراسة الطب العصبي ومفكر حر، يعد مؤسس علم التحليل النفسي وعلم النفس الحديث.

Flew, Antony, (1985), Freud, Sigmund (1856- 1939), A Dictionary of philosophy, (P.126:127), Updated and Revised Edition, London, Macmillan Reference books.

\* جان بياجيه: Jean Piaget (١٨٩٦-١٩٨٠ م) : هو عالم نفس وفيلسوف سويسري وقد طور نظرية التطور المعرفي عند الأطفال فيما يعرف الآن بعلم المعرفة الوراثية، أنشأ بياجيه في عام ١٩٦٥ مركزاً نظرياً للمعرفة الوراثية في جنيف وترأسه حتى وفاته، ويعد بياجيه رائد المدرسة البنائية في علم النفس.

Craig ,Edward, (2005), Piaget, Jean (1896-1980), The Shorter Routledge Encyclopedia of Philosophy, (P.793) London and New York, Routledge Taylor & Francis Group.

المعاصرة بروى نقدية حول كيفية عمل العقل البشري، فقد تعلمنا ما يكفي لنعرف أن أيا من المفكرين الثلاثة المذكورين كان على حق في العديد من التفسيرات التي قدموها. وقد أظهر المجتمع العلمي اليوم بشكل تجريبي أن هناك ذاتا غير واعية كما يجادل فرويد، على عكس التطور الواعي الكامل الذي أبرزه بياجيه، لكن الذات اللاواعية لا يهيمن عليها الصراع الفرويدي بالكامل ولا دائما. وقد يوفر الانتماء المناسب علاقة متماسكة بين الهوية والأنا العلي، فهناك الأنا الواعية التي تتطور، كما أكد بياجيه، التي تتعارض مع ما تصوره فرويد، أما الأناات المختلفة، فهي نتيجة اختلاف الانتماء إلى التعليم، خلافا لما قاله فرويد. هذه الأنا الواعية هي جزئيا نتيجة لخلفية عاطفية من الانتماء. ولا يمكن التلاعب بالبشر تماما، لأن الأناات المختلفة تتفاعل مع نفس المحفز بطرق مختلفة. تتعلم الأنا، وليست مستجيبا سلبيا يمكن التلاعب به كما يعتقد سكينر، لأن الواقع النفسي للعقل البشري تمثيلي، ومن ثم، كما رأينا، فإن العواطف والخيال من المحددات الرئيسة للسلوك. لقد كان العقل البشري، وما زال، يتغير تطوريا، ألا توجد جوهرات مسبقة لما يجب أن يكون عليه الإنسان؟ لن نفهم أبدا ما هو العقل البشري حقا. العلم يؤسس فقط ارتباطا بالواقع الذي يسمح لنا بزيادة معرفتنا به. نحن نعرف اليوم ما يكفي لفهم أصولنا التطورية، لنكون قادرين على تقدير الدور المهم الذي يؤديه الانتماء في تنمية العقل البشري، في هذا بولبي كان على حق.

يُنظر إلى الفن في العقلانية والانسجام على أنه انعكاس للجوهر المتناغم للكون، لكن وجود مثل هذه الأحجار الكريمة لا يمكن أن يعرفه العقل البشري، لذلك يجب علينا تعريف الفن بطريقة أخرى. الفن قديم قدم الإنسانية، وقد كان جزءا أساسيا من ارتباطنا بالانتماء إلى الخارج. إن الفن بحد ذاته عالمي، ولكنه مع ذلك خيال

وعواطف، فلا توجد طريقةً واحدةً للتعبير عن الواقع من خلال الفن، ولكن بطرقٍ لا حصر لها لا يتراكم الفن كما تفعل المعرفة العلمية، ولكنه، على أية حال، وسيلةٌ أساسيةٌ للتواصل مع العالم الخارجي، فلا تعني المعرفة دائماً معرفة أننا نعرف، قد نعرف قطعةً فنية، ولكن في كل مرةٍ نراها تخلق مشاعر مختلفة فينا، وتوقظ خيالنا بطرقٍ مختلفة. وقد يجمع الفن بين العالمية والخصوصية، لأنه غير مقيد بالزمان، أو المكان. وقد يوقظ الفن الخيال والعواطف التي تنبثق من بُعد الزمان والمكان، فإن تراكم المعرفة ليس شرطاً مسبقاً للتمتع بالحياة، فقد تتمتع القطعة في الشمس بالحياة. ولعل التأمل، الوجود، المشاركة، الانتماء هي الحياة، حتى لو لم نشهد تراكم المعرفة، فالعواطف، كما قلنا، لها لغتها الخاصة، اللغة نفسها التي يستخدمها الفن، ونظرًا لأننا رأينا أن الانتماء دائماً له مركزية عاطفية، فهذا يعني أن تطوير فن الانتماء مفيد للغاية. الحياة هي أفضل طريقة لتقليل القلق الناجم عن معرفة وجودنا وموتنا الحتمي. إن العواطف والخيال والانتماء والفن تجعلنا نعيش ونتجاوز الزمن.

إن فلسفة الانتماء عن طريق استبدال المفاهيم المسبقة بالمعرفة العلمية تغير فهمنا لمائة وثمانين درجة للكون الوجودي وعالمنا المعاصر ومجتمعنا وأصدقائنا وأنفسنا. إن سمة من سمات الخيال والعواطف والانتماء والسلوك الانعكاسي والفن هي الاعتراف بالدور الرئيس للعقل والعلم. إنها تدرك أهمية الحرية الفردية في المجتمعات الغربية، وأهميتها للنمو الاقتصادي غير المسبوق في القرون الماضية، ولكنها تركز -كذلك- اهتمامنا على الانتماء الاجتماعي، والدور الأساسي الذي تؤديه في هذه العملية. إنه يشير إلى الحاجة الملحة لنظام مفاهيمي جديد، وترتيب مؤسسي يمكنه مواجهة معضلات العولمة الفعلية. إنه يقلل من ضغوط فرديتنا

وفنائنا عبر التأكيد على ارتباطنا التطوري المحتمل بالعالم الوجودي، مع المجموعة الاجتماعية، ومع أحبائنا، وهو يحقق ذلك دون الرجوع إلى الأفكار التخيلية المسبقة التي لا يستطيع العقل البشري معرفتها التي تناقض بعضها بعضاً. في السحر والعقلانية والوئام، يضحّي البشر بقدرتهم على الفهم من خلال قبول الحقائق الأساسية والبدئية التي لا يستطيع العقل البشري التعرف عليها. إن الانتماء إلى الجانب الآخر يعزز السعي البشري للتفاهم. لقد برر توافق الآراء النظام الاجتماعي العالمي اليوم الذي لم يعد يستجيب للاحتياجات العالمية في عصرنا. لقد حان الوقت لثورة مفاهيمية جديدة، حيث يجب أن نترك الانسجام خلفنا، ونقبل بفلسفة جديدة من الانتماء. (11)

### ثانياً: فلسفة الولاء

ولعل كلمة الولاء من الكلمات الخلاقية التي تثير في العقل معاني سياسية وأخلاقية. في الماضي، ارتبط مفهوم الولاء بالسلطة والحرب، وخاصة الأنظمة العسكرية. وبما أن الفلسفة تدرس المبادئ والأسس في جوهرها، فلا يمكننا تسمية خاصية الولاء في كل فعل، ولا يمكننا عد كل شكل من أشكال صور الولاء صورة معبرة عن المعنى القديم للكلمة، ومن ثم، علينا أن نقدير مكانة الولاء في الحياة الأخلاقية، وعدم الخضوع للسلطة التقليدية، لأن الفلسفة ليست سوى محاولة لوضع أسباب ومبررات لآرائنا.

إن الولاء هو محور كل الفضائل، وروح الأخلاق العاقلة. وقد تبدأ فلسفة الولاء بتقديم طبيعة الولاء، وتوضيح مدى حاجة الإنسان إليها، ومحاولة شرح أساس الحياة الأخلاقية، وطبيعة القانون الأخلاقي، ومدى الحاجة إلى المعايير الأخلاقية.

ولعل الولاء هو التفاني المتعمد، والعملية، والمستمر من قبل الفرد تجاه قضية محددة، فالولاء ضروريٌّ، لأنه يقضي على حالة التردد والارتباك الأخلاقي التي يحقق بها الفرد الخير لنفسه.

إن الإنسان بطبيعته كائن اجتماعي لا يعيش دون المشاعر الاجتماعية والتواجد مع الآخرين، فالشيء الذي يتطلب التضحية بالنفس هو الولاء الذي يحول التضحية بالنفس إلى تأكيد لها، ووجودها. وتحقيق الذات، وحل تناقض وجودنا الطبيعي، وفي الوقت نفسه، يوضح لنا الإرادة التي يسعدها تقديم هذه الخدمة والتعبير عن نفسها، ومن ثم، نحن بحاجة إلى الولاء لأنه يخطط لحياتنا، ويوحد حياتنا الأخلاقية، ويوفق بين إرادة الذات والإرادة الاجتماعية، ويحدد لنا الواجب الأخلاقي ومعنى الخير، ومن ثم، يعطي قيمةً لحياتنا.

إن الولاء يجعلنا ندرك الوحدة الحقيقية لحياة العالم، وهي وحدة قريبة منا لأننا نعيش فيها وبعيداً عنا، في الوقت نفسه، لأننا لا نعرف في تجاربنا إلا تفاصيل بسيطة عنها. وهي وحدة أبدية نحقق فيها أهدافنا وغاياتنا بين الفلسفة المثالية والحياة العملية، وربط الفلسفة باهتمام الفكر والوطن.

لقد أسس (رويس) فلسفة الولاء لمعالجة مشكلة المسيحية، وتحقيق التصالح بين الدين والأخلاق، فاستبدل الولاء بالحب، وأرسى أسس فلسفة أخلاقية عقلانية. وقد جاءت فلسفة الولاء حلاً للصراع السياسي، ودعوةً للوحدة الاجتماعية. ويمكن عد فلسفة الولاء على أنها النظر إلى أصل الواجب الكانطي، أو توسيعه بروح هيجل. عندما يواجه الفرد موقفاً أخلاقياً محيراً، يبحث عنه داخل الذات، ثم يجد حلاً له في الخارج، ثم يعود إلى الذات مرة أخرى. لذلك فإن سلوك الولاء ينتج عنه ممارسة الفرد للجدل من الداخل والخارج، ويصبح سلوك الولاء منتجاً مركباً من الداخل، أي



رغبات الفرد والخارج ، أي قيم المجتمع. إن الولاء أصل الواجب، وأصل الولاء هو التناقض، لأنه نتاج إرادتين متعارضتين، هما: إرادة حسنة وإرادة شريرة ، أو إرادة الفرد، وإرادة المجتمع. ومن ثم، يكتسب الواجب روحاً هيكلية وحركة دياكتيكية. ومن ثم، فإن مسألة الولاء تعد محاولةً للتوفيق بين كانط وهيغل. في الواقع ، سواء كانت فلسفة الولاء حلاً لمشكلة كانط، أم مصالحة بين كانط وهيغل، فإن كلا الأمرين يتعلق بالاتجاه العام لفلسفة الولاء في روبس. (12)

#### • النتائج:

**أولاً:** يتضح لنا أن هناك علاقة وطيدة بين الانتماء الأخلاقي والانتماء الفلسفي ، حيث أن الانتماء الأخلاقي يحدد طبيعة علاقة الفرد بالمجتمع في الأوقات والأماكن جميعها حسب العادات والتقاليد التي نشأ عليها، بينما يرتبط الانتماء الفلسفي بأنواع الانتماءات الأخرى جميعها، ولكل منها المعنى نفسه في مجالها الخاص.

**ثانياً:** نستنتج أن الانتماء الاجتماعي هو الذي يحدد طبيعة علاقة الفرد بالمجموعة في كل الأوقات والأماكن. إنه ما يتم إنشاؤه من إشباع حاجة الطفل للقبول داخل بيئته. هذا الشعور يسهل عليه التدخل في المجموعات الاجتماعية ، مما يجعله يشعر بالراحة والرغبة في العمل. يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالانتماء الديني. وهو انتماء قلبي صادق وليس مجرد انتماء اسمي، وهو من أهم أنواع الانتماءات التي ترتبط بانتماء الإنسان إلى الدين من خلال معرفة شاملة وكافية بقواعده وأحكامه ومبادئه، والحرص على تطبيقها بشكلٍ صحيحٍ وسليمٍ.

**ثالثاً:** نجد أن هناك علاقة وطيدة بين الانتماء والولاء، فالانتماء ليس فكرة مسبقة، وإنما يأتي من المعرفة العلمية. الفلسفة الاجتماعية والسياسية، وفلسفة الاقتصاد، وفلسفة الأخلاق، والنظر في القضايا النقدية ، والدور الحاسم الذي يؤديه الفن في

تنمية الانتماء، بينما الولاء من المصطلحات الخلافية التي تثير المعاني السياسية والأخلاقية في العقل. إنه محور كل الفضائل وروح الأخلاق العاقلة. تجاه موضوع معين الولاء ضروري لأنه يقضي على حالة التردد والارتباك الأخلاقي التي يحقق بها الفرد الخير لنفسه.

**رابعاً:** أخيراً وليس آخراً، اتضح أن هناك رؤية للانتماء الفلسفي في الفكر السياسي الحديث والمعاصر ، نجد فيها أن الحريات السياسية والاقتصادية للغرب يجب أن تكون عالمية. يجب أن تلبي أي فلسفة سياسية الاتجاه المناسب للتطور ، وهو البقاء البيولوجي .

## الهوامش

(١) بن دوبة، شريف الدين، (٢٠١٦) ، اليوتوبيا والمواطنه من المشترك الأخلاقي إلى التفرد الإثنى ، دار الروافد الثقافيه، ص ٢٠ - ٢١  
Obregon, Carlos (2009), Loneliness and Love, Mexico, pui.  
Amazon.com

(2) رويس، جوزايا .(٢٠٠٢) ، فلسفة الولاء ، ترجمة احمد الانصاري ،مراجعة حسن حنفي ،الطبعة الأولى ،المجلس الاعلى للثقافة. ص ١٩ .

Cohen, IG et. al. (1997), "Functional relevance of cross-modal plasticity in blind humans, Nature, Vol. 389, September 11, 1997, pp. 180-83.

(3) الزعبي، آلاء علي ، "الانتماء والولاء الوطني في الكتاب والسنة النبويه" ، كلية الشريعة ،جامعة اليرموك ، الاردن ، ص ٧-٨ .

(4) ربيعة، علاونة ،(٢٠١٧) ، "الانتماء وعلاقته بتحقيق الذات لدى الطالب الجامعي" ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد ٣٠ . ص ٣٣ .  
Bowlby, J. ,(1988a.), "Developmental psychiatry comes of age",  
American Journal of Psychiatry, Vol. 145, pp. 1-10.

(5) الزعبي، آلاء علي، الانتماء والولاء الوطني في الكتاب والسنة النبويه" ص ١٠ .  
(6) محمدي، عبد القادر.(٢٠١٥-٢٠١٦) ، "دور الديمقراطية التنظيمية في تحقيق الانتماء التنظيمي". أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم تخصص علم اجتماع التنظيم والعمل ، كلية العلوم الاجتماعيه والإنسانية ، جامعة محمد خيضر - بسكرة ، ص ٤٨ - ٤٩ .

Fletcher, L., and SC Hayes (2006), "Relational frame theory, acceptance and commitment therapy, and a functional analytic definition of mindfulness", Journal of Rational Emotive and Cognitive Behavioral Therapy, Vol. 23 (4), pp. 315–336.

(7) محمدى، المرجع السابق . ص ٦٣ - ٦٤ .

(8) Ramachandran, V.S, (2011), The Tell-Tale Brain, A Neuroscientist's Quest for What Makes Us Human New York, WW Norton, p.3:4 & Ayn Rand. (1964). The Virtue of Selfishness, New York, Penguin Group. , pp. 206–207

(9) Obregon, Carlos. (2021). the Philosophy of Belonging, Ediciones Universitarias, PP. 215:223

(10) Sandler, J (1976), "actualization and object relationships", Journal of the Philadelphia Association of Psychoanalysis, 3, pp. 59–70.

(11) Obregon, Carlos. (2021)., p, 128:130

(12) رويس، جوزيا، فلسفة الولاء ، ص ٥ ، ١٤ ، ٢٠ ، ٢٢ .

## قائمة المصادر والمراجع

### - مصادر مراجع باللغة الإنجليزية :

- 1- Bowlby, J. ,(1988a.), “Developmental psychiatry comes of age”, American Journal of Psychiatry, Vol. 145.
- 2- Cohen, IG et. al. (1997), “Functional relevance of cross-modal plasticity in blind humans, Nature, Vol. 389, September 11, 1997
- 3- Craig ,Edward, ,(2005),Piaget,Jean(1896-1980),The Shorter Routledge Encyclopedia of Philosophy ,(P.793)London and New York, Routledge Taylor &Francis Group.
- 4- Derrida, J. (1968), The Differance (lecture, 1968), Théorie d’ensemble, Seuil, Paris, 1968, and the Phislosophie Marges, Minuit, Paris, 1972. Margins of Philosophy, Chicago / London, Chicago University Press, 1982.
- 5- Derrida, J. (1994), Specters of Marx. The State of the Debt, the Work of Mourning, and the New International, New York / London. Routledge.
- 6- Flew,Antony, (1985) ,Adictionary of philosophy, ,Updated and Revised Edition,London,Macmillan Reference books.
- 7- Obregon, Carlos (2009), Loneliness and Love, Mexico, pui. Amazon.com.
- 8- Obregon, Carlos. (2021). the Philosophy of Belonging,Ediciones
- 9- Universitarias.
- 10- Ramachandran,V.S, (2011), The Tell-Tale Brain, A Neuroscientist's Quest for What Makes Us Human New York, WW Norton.
- 11- Rand,Ayn. (1964). The Virtue of Selfishnes, New York, Penguin Group.

12- Sandler, J (1976), "actualization and object relationships",  
Journal of the Philadelphia Association of Psychoanalysis.

- مصادر مراجع باللغة العربية:

١. أبو حشيش، بسام محمد (٢٠١٠)، دور كليات التربية في تنمية قيم المواطنة لدى الطلبة المعلمين بمحافظة غزة، مجلة جامعة الأقصى، سلسلة العلوم الإنسانية .
٢. الحبيب، فهد إبراهيم، (٢٠٠٦)، الاتجاهات المعاصرة في تربية المواطنة، دراسة مقدمة للقاء السنوي الثالث عشر لقادة العمل التربوي، الباح، المملكة العربية السعودية.
٣. الخشب، محمد عثمان، (٢٠٠٩)، تطور مفهوم المواطنة في الفكر السياسي الغربي، موقع كتاب من أجل الحرية، منظمة كتاب عراقيون من أجل الحرية.
٤. العامر، عثمان بن صالح، (٢٠٠٥)، أثر الانفتاح على مفهوم المواطنة لدى الشباب السعودي "دراسة استكشافية"، موقع المكتبة الرقمية، وزارة التربية والتعليم، مركز المصادر التربوية، المملكة العربية السعودية.
٥. الغريب، شبل، بدران (٢٠٠٩)، التربية والمواطنة وحقوق الإنسان، ورقة بحث مقدمة لمؤتمر نحو استثمار أفضل للعلوم التربوية والنفسية في ضوء تحديات العصر، كلية التربية جامعة دمشق، سورية.
٦. الكندري يعقوب، القشعان، محمود، الضويحي، محمد (٢٠١١)، قيم الانتماء الوطني والمواطنة لدى عينة من الشباب في المجتمع الكويتي، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية.

٧. جلامنة، حذيفة سعيد، (٢٠٠٩)، مفهوم المواطنة والانتماء عند الشباب، فلسطين، موقع مركز إبداع المعلم الإلكتروني.
٨. سعيد بن سعيد، ناصر حمدان (٢٠٠٨)، دور الأسرة في تنمية قيم المواطن لدى الشباب في ظل تحديات العولمة، الملتقى العلمي الأسرة السعودية التغيرات المعاصرة، الجمعية السعودية لعلم الاجتماع والخدمة الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.
٩. عمارة، فيروز فوزي، (٢٠١١)، استخدام الممارسات المهنية لطريقة العمل مع الجماعات لتنمية الولاء والانتماء لدى الشباب الجامعي كأحد مكونات المواطنة، دراسة مطبقة على المعهد العالي للخدمة الاجتماعية بدمنهور.
١٠. قواسمي مراد، (٢٠١٣)، جاك دريدا، موسوعة الأبحاث الفلسفية، الفلسفة الغربية المعاصرة، تأليف مجموعة من الأكاديميين العرب. تقديم علي حرب. الجزء الثاني. الطبعة الأولى.
١١. نمر، فريحه (٢٠٠٦) التربية الوطنية مفاهيمها وطرائق تدريسها، وزارة التربية والتعليم، مسقط، عمان.

## **Moral Belonging in modern and contemporary philosophy**

### **Abstract**

The concept of moral affiliation is one of the most important concepts that determine the nature of the individual's relationship with society at all times and places. It is the desire of any person to unite with another person, group or belief, as it is a human need. It may differ from one society to another and from one individual to another according to the customs and traditions on which it was raised.

**Keywords: (moral belonging, loyalty, alienation, philosophy of belonging)**